دراسة المعنى من منظور دلالي معرفي

أ.عمر بن دحمان
جامعة تيزي وزو

يعد علم الدلالة أو دراسة المعنى من المجالات الأكثر نقاشا في الدرس اللغوي من زمن مبكر وفي مباحث متنوعة. وقد ظهرت عدة نظريات حاولت إعطاء تفسيرها الخاص لظهور المعاني وتداولها، وكيفية دراستها ومقاربتها.

تعد الدلالة المعرفية(1) (cognitive semantics) إحدى هذه النظريات التي انبثقت ضمن ما بات يعرف باللسانيات المعرفية المنبثقة بدورها ضمن الإطار العام للعلوم المعرفية. التي يتخصص المعنى وفق منظورها «باعتباره تمثيلات ذهنية مبنية في صورة تنظيم معرفي هو البنية التصورية. والبنية التصورية ليست جزءا من اللغة في حد ذاتها، وإنما هي جزء من الفكر. إنها المحل الذي يتم فيه فهم الأقوال اللغوية في سياقاتها، بما في ذلك الاعتبارات الذريعية والمعرفة الموسوعية، إنها البنية المعرفية التي ينبني عليها التفكير والتخطيط. فيعتبر هذا المستوى المفترض للبنية التصورية المقابل النظري لما يسميه الحس المشترك "معنى"»(2).

ويطرح لانغاكر(3) في كتابه "النحو المعرفي" السؤال التالي: هل محل المعاني الذهن؟ ويجيب أن المعاني (معاني التعابير اللغوية) من منظور لساني معرفي: محلها أذهان المتكلمين الذين ينتجون ويفهمون التعابير. أي تعيين المعاني مع التصورات(4)، هذه النظرة تخالف ما دأبت عليه وجهات النظر الدلالية التقليدية في اعتبارها اللغة كيانا مجردا، وغير متجسد والتي لا يمكن احتواؤها، فالمعاني اللغوية كشأن قوانين الرياضيات لوحظت كوجود متعال ومستقل عن الذهن والمجهود البشريين. تندرج في هذا الإطار وجهات نظر النزعة الموضوعية-التي ما تزال مهيمنة في الفلسفة والمنطق والدلالة الصورية، والتي تحدد معنى جملة ما بمجموعة الشروط التي تجعلها صادقة. "شروط الصدق" هذه تخص ما يكون عليه العالم موضوعيا، دون إيلاء اعتبار للكيفية التي بإمكاننا أن نتصوره بها، أو معنى أن نملك بنية تصورية تمثل معارفنا وتجاربنا بطريقة ما.

إن الرؤية الدلالية المعرفية للمعنى بحسب لانغاكر تعتبره مشتقا من التجربة البشرية المتجسدة(5)، وهو ينبثق بصفة دينامية في الخطاب والتفاعل الاجتماعي، بدلا من كونه شيئا ثابتا مفروضا سلفا. والمتحاورون يتفاوضون حول المعنى بفعالية استنادا إلى سياق فيزيائي، لغوي، اجتماعي، وثقافي. إن المعنى لا يعد مظاهر محتواة تجعله ملازما للخطاب الجماعي، ولكنه مظاهر تنتشر في ظروف حدث الخطاب التداولي، وفي العالم المحيط. وبالأخص، إنه ليس داخل ذهن متكلم واحد.

الدلالة المعرفية: أطروحات والتزامات

تاريخيا، بدأ علم الدلالة المعرفي سنوات السبعينيات من القرن الماضي كردة فعل ضد وجهات نظر ذوي النزعة الموضوعية التي يسلَّم بها في الفلسفة واللسانيات الحديثة والمقاربات المرتبطة بهما، والتي عملت على إزاحة الطريقة التي ينظم بها البشر معارفهم وتأثير ذلك على النسق اللغوي المتحقق عن البنية التصورية والدلالية. والمقصود بذلك على وجه الخصوص دلالة شروط الصدق، التي تطورت ضمن اللسانيات الصورية. في مقابل هذه النظرة، ترى الدلالة المعرفية المعنى اللغوي كتجلٍ لبنية تصورية: أي طبيعة التمثيل الذهني وطريقة تنظيمه بكل ثرائه وتنوعه، وهذا ما يجعلها مقاربة مميزة للمعنى اللغوي بتحديدها لوجهة نظر مغايرة.

يعرف إيفنس(6) الدلالة المعرفية في مسرده بكونها حقلا يهتم بالبحث في العلاقة بين التجربة، النسق التصوري، والبنية الدلالية التي تشفرها اللغة. يعمل الدارسون في الدلالة المعرفية على وجه الخصوص بالبحث في طريقة تمثيل المعارف (البنية التصورية)، وبناء المعنى (بناء التصور). هذا وقد تم توظيف اللغة كعدسة يمكن من خلالها التحقيق في هذه الظواهر المعرفية. وهكذا ينزع البحث في الدلالة المعرفية إلى الاهتمام بنمذجة الذهن البشري أكثر من اهتمامه بالتحقيق في الدلالة اللغوية. وكشأن المشروع الأكبر للسانيات المعرفية تمثل الدلالة المعرفية (التي تعد أحد فروعها) مقاربة متداخلة بدلا من كونها نظرية واحدة ومنفصلة.

في مقابل هذا تهتم المقاربة المعرفية للنحو(7) بنمذجة النسق اللغوي (أي «النحو») الذهني)، بدلا من طبيعة الذهن بحد ذاته. رغم أن ذلك يتم باستلهام نتائج العمل المنجز في الدلالة المعرفية كمنطلق. يستتبع هذا أن المعنى مركزي للمقاربات المعرفية للنحو التي ترى امتلاك التنظيم اللغوي والبنية اللغوية أساسا تصوريا. يستتبع هذا أن اللسانيين المعرفيين يرفضون أطروحة استقلالية التركيب (syntax)، على خلاف نظرة التقليد التوليدي فى اللسانيات التى أيدت هذه الاستقلالية.

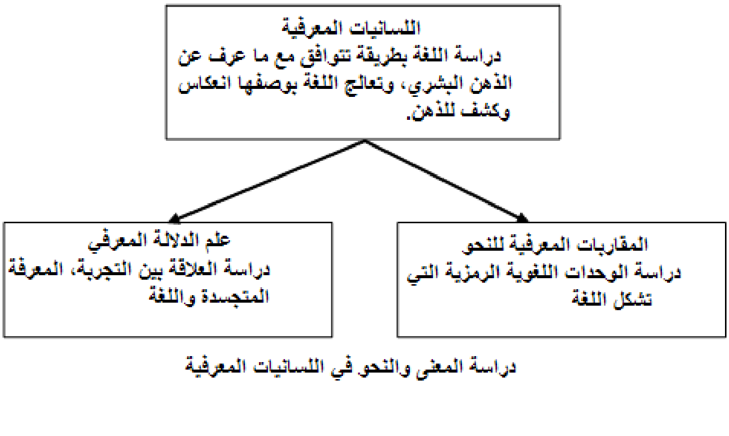

دراسة المعنى والنحو في اللسانيات المعرفية

إن طبيعة الدلالة المعرفية باختصار هي تلك المقاربة التي تهتم بالبنية التصورية والمعنى اللغوي معا. وهي مشروع لا يعد إطارا واحدا وموحدا كشأن المشروع الواسع للسانيات المعرفية، لذلك يشير فيفيان إيفنس وميلاني غرين[8] إلى الاختلاف الواقع بين جماعة من الباحثين الذين نصبوا أنفسهم كعلماء دلالة معرفيين بحسب نوع تركيزهم واهتماماتهم. ومع ذلك، هناك عدد من المبادئ التي تخصص على الإجمال المقاربة الدلالية المعرفية يمكن تمثيلها في أربع افتراضات مركزية يقوم عليها هذا المشروع عموما، هذه الافتراضات هي:

1) البنية التصورية هي بنية متجسدة (أطروحة المعرفة المتجسدة)
2) البنية الدلالية هي بنية تصورية.
3) تمثيل المعنى هو تمثيل موسوعي.
4) بناء المعنى هو بناء التصور (conceptualization).

يمكن اعتبار هذه المبادئ كمحصلة لالتزامين أساسيين هما: "التزام التعميم" و"الالتزام المعرفي" اللذان يمثلان، بالإضافة إلى الافتراضات السابقة التي تتبناها اللسانيات المعرفية عامة، من أهم ما يمنح لهذا المشروع اللساني الجديد تميزا واختلافا، وهما يندرجان ضمن الاتجاه والمقاربة التي يتبناها اللسانيون المعرفيون في ممارستهم، وضمن الأطروحات والمناهج الموظفة في الفرعين الأساسيين للسانيات المعرفية (أي الدلالة المعرفية، والمقاربات المعرفية للنحو).

يرى فيفيان إيفنس اعتمادا على لايكوف أن "اللسانيات المعرفية تتميز عن الاتجاهات الأخرى في اللسانيات، سواء عن ذوي النزعة الصورية أو النزعة الوظيفية، من خلال هذين الوجهين: أولا، إنها تأخذ بصفة جدية الدعامة المعرفية للغة، [وهو] ما يسمى بالالتزام المعرفي (...). فاللسانيون المعرفيون يحاولون وصف ونمذجة اللغة في ضوء براهين متجمعة من علوم الذهن والعلوم المعرفية الأخرى. ثانيا، يلتزم اللسانيون المعرفيون بالتعميم: [أي] التزام وصف المبادئ التي تشكل المعارف اللغوية وطبيعتها بوصفها محصلة لمقدرات معرفية عامة (...) – بدلا من رؤية اللغة، مثلا، كتشكيل لمقياس منفصل كليا ومستبطن في الذهن"[9].

للتوضيح أكثر ننقل تفصيل إيفنس للالتزامين كما يلي:

- **الالتزام المعرفي:** يعد هذا الالتزام السمة المميزة للسانيات المعرفية. وهو يمثل التزاما بتوفير وصف أو تخصيص (characterization) للغة اتفاقا مع ما عرف عن الذهن والدماغ من خلال ما توصلت إليه الفروع العلمية الأخرى. إنه الالتزام الذي تتبناه اللسانيات المعرفية وبالتالي جعلها مقاربة متداخلة التخصصات بطبيعتها.

بعبارة أخرى يمثل الالتزام المعرفي وجهة النظر التي ترى أن مبادئ البنية اللغوية ينبغي أن تعكس ما عرف عن المعرفة البشرية من علوم الدماغ والمعرفة الأخرى، خاصة علم النفس، الذكاء الاصطناعي، علم الأعصاب المعرفي، والفلسفة.

للالتزام المعرفي عدد من النتائج الملموسة: أولا، لا تستطيع النظريات اللسانية أن تتضمن بنيات أو معالجات تنتهك ما تمت معرفته بشأن المعرفة البشرية. وثانيا، النماذج التي توظف خصائص معرفية مؤسسة لشرح الظاهرة اللغوية هي أكثر اقتصادا عن تلك التي تم بناؤها بمقاييس *قبلية* بصفة مبسطة. باختصار، إن الباحث

اللساني المعرفي مشحون بتأسيس براهين متجمعة من الواقع المعرفي لتشكيل أي نموذج مقترح.

- **التزام التعميم**: مفاده أن هناك مبادئ مبنينة مشتركة يُحتفظ بها عبر المظاهر المختلفة للغة، وأن هناك وظيفة مهمة للسانيات هي تعيين هذه المبادئ المشتركة. أي أنه يمثل تكريسا لتخصيص مبادئ عامة تنطبق على جميع مظاهر اللغة البشرية، هذا الهدف يعكس التزاما معياريا في علم يسعى إلى تعميمات أرحب ما أمكن. على عكس هذا غالبا ما تميز بعض المقاربات اللسانية الحديثة بين ما اصطلح عليه أحيانا بـ"الملكة اللغوية" إلى مجالات مختلفة مثل الفونولوجيا (الصوت)، الدلالة (معنى كلمة أو جملة)، التداولية (المعنى في السياق الخطابي)، الصرف (بنية الكلمة)، التراكيب (بنية الجملة).. وما إليه. هذا التمييز أو الفصل كانت نتيجته -حسب ايفنس- وجود أساس ضئيل في الغالب لعملية تعميمية عبر مظاهر اللغة هذه، أو لدراسة العلاقات المتبادلة فيما بينها. رغم أن هذا الفصل يعد جائزا بصفة خاصة لدى المقاربات الصورية التي تنمذج اللغة باتخاذ أدوات آلية مختلفة كبراهين أو إجراءات تشتغل على أوليات نظرية (theoretical primitives) من أجل إنتاج كل الجمل النحوية الممكنة في لغة معطاة. فالنحو التوليدي مثلا، يحاول نمذجة اللغة بتثبيت إجراءات خوارزمية مختلفة تعمل وفق أوليات نظرية من أجل إنتاج جميع الجمل النحوية الممكنة للغة معطاة. لقد حاولت هذه المقاربة ضبط صيغ بواسطة تبني صياغات محدثة في الأصل من قبل الذكاء الاصطناعي، والرياضيات والمنطق، كما هي ممثلة في عمل نوام تشومسكي، فداخل هذه المقاربات (مثل مقاربة النحو التوليدي) تبرهن عادة أن المجالات التي ذكرنا-الصوتية، والدلالية، والصرفية، والتراكيبية، والتداولية- تتعلق بصفة دالة بأنواع مختلفة من المبادئ المبنينة والمشتغلة عن أنواع مختلفة من الأوليات. على سبيل المثال، علم التراكيب يهتم بنوع مخصص من المعارف المفترض أنها مخصصة لترتيب الكلمات في جمل صحيحة الصياغة، بينما النسق الفرعي الصوتي هو مخصص لترتيب الأصوات ضمن أشكال تسمح بها قواعد لغة معطاة، ولغة الجنس البشري بشكل عام. وجهة النظر المقياسية هذه للذهن تعزز الفكرة القائلة بأن اللسانيات الحديثة لها ما يبررها في فصلها دراسة اللغة إلى تخصصات مختلفة، ليس فقط عن خلفيات تطبيقية ولكن بسبب أن مكونات اللغة هي متجلية بصفة كلية، وغير قابلة للقياس بنفس المقاييس، بالنظر إلى طريقة تنظيمها.

وحسب إيفنس، تعترف اللسانيات المعرفية، لدواعي الممارسة التطبيقية، بأنه من المفيد غالبا وجود إمكانية لمعالجة مجالات مثل التراكيب، والدلالة، والأصوات، بكونها متمايزة نظريا. لكن اللسانيين المعرفيين لا ينطلقون بالالتزام القائل بأن "الأنسقة الفرعية" للغة تنتظم بطرق منفصلة بصفة دالة. التزام التعميم يمثل إذن التزاما بالتحري بصفة صريحة في كيفية انبثاق المظاهر المتنوعة للمعارف اللغوية من مجموعة مشتركة للإمكانات أو المقدرات المعرفية وعلى ماذا تنسحب، بدلا من افتراض أنها تنتَج في قالب مكبسل (encapsulated module) لذهن يتشكل من أنماط معارف مختلفة، أو من أنسقة فرعية. وبرغم ذلك، فإنه بإعطاء "التزام التعميم" فإن

اللسانيات المعرفية تعارض أن تكون "قوالب" اللغة أو " أنسقتها الفرعية" منتظمة بطرق منفصلة بصفة دالة، أو حتى أنها موجودة فعلا.

هذا عن الالتزامين أو التعهدين اللذين تتبناهما اللسانيات المعرفية، ويأخذ بهما الدلاليون المعرفيون، وهما كما سبقت الإشارة إليه جاءا كردة فعل عن ممارسات المقاربات الصورية للغة، والتي تفتقد بحسب منظورها للبعدين المعرفي والتعميمي كما يتصوره وينادي به ذوو النزعة المعرفية، لذلك لم يكتف هؤلاء بهذين الالتزامين وإنما أضافوا إليهما أطروحات أو مسلمات أخرى (عددها خمسة) تمثل افتراضات توجه البحث اللساني المعرفي وتضع له وجهة نظر متميزة. هذه المبادئ المشار إليها آنفا هي التي توجه مشروع البحث الدلالي المعرفي وترسم له مساره الخاص به والذي يميزه عن غيره من المقاربات والنظريات المهتمة بدراسة المعنى وبنائه وأوضاعه.

وفيما يلي تفصيل مختصر لهذه المبادئ الموجِّهة كما أوردها فيفيان إيفنس وميلاني غرين[10]:

▪ **البنية التصورية بنية متجسدة:**

يتمثل الانشغال الجوهري لأصحاب الدلالة المعرفية في طبيعة العلاقة بين البنية التصورية والعالم الخارجي للتجربة الحسية. بعبارة أخرى، يسعى أصحاب الدلالة المعرفية إلى اكتشاف طبيعة التفاعل البشري مع العالم الخارجي والوعي به، وبناء نظرية للبنية التصورية تنسجم مع الطرق التي نجرب أو نختبر بها العالم. إحدى الأفكار التي انبثقت من محاولة شرح طبيعة التنظيم التصوري على أساس التفاعل مع العالم الفيزيائي هي أطروحة المعرفة المتجسدة. تتمسك هذه الأطروحة بأن طبيعة التنظيم التصوري تنشأ من التجربة الجسدية، وبالتالي أحد الأجزاء التي تجعل للبنية التصورية مدلولا هو التجربة الجسدية وما ترتبط به. المثال الذي يقترحه المؤلفان هو تخيل رجل في غرفة مغلقة، هذه الغرفة تملك خصائص بنيوية مقترنة بمعالم محددة: لها جهات تحصرها، لها داخل، لها حدود، وخارج. نتيجة لهذه الخصائص، يكون للمعلم المحدود خاصية وظيفية إضافية للاحتواء: أي أن الرجل عاجز عن مغادرة الغرفة مادامت مغلقة. برغم أن هذا الأمر يبدو واضحا إلى حد ما، إلا أن ملاحظة أن هذا المثال المعبر عن **"الاحتواء"** ينتج جزئيا بسبب خصائص المعلم المحدود، وينتج جزئيا أيضا بسبب خصائص الجسد البشري. فالبشر لا يمكنهم اختراق شق الحائط مثل الغاز، أو أن يزحفوا من خلال الفرجة أسفل الأبواب كالنمل مثلا. بعبارة أخرى، إن الاحتواء هو نتيجة ذات دلالة لنمط خاص من علاقة فيزيائية جربناها بالتفاعل مع العالم الخارجي. هذا التصور المقترن بالاحتواء هو مثال أو شاهد عما يسميه اللسانيون المعرفيون: خطاطة الصورة. في النموذج المعرفي، يمثل التصور الخطاطي إحدى الطرق أين تعطي التجربة الجسدية نهوضا لتصورات دالة. فبما أن تصور الاحتواء يتأسس على التجربة المتجسدة مباشرة بالتفاعل مع المعلم المحدود، فإنه بإمكان البنية التصورية الخطاطية أيضا أن تعطي نهوضا لأنواع من المعاني بتجريد أكثر [11].

▪ البنية الدلالية هي بنية تصورية

يؤكد هذا المبدأ أن اللغة تحيل على تصورات في ذهن المتكلم بدلا من الإحالة إلى الأشياء الموجودة في العالم الخارجي. بعبارة أخرى، البنية الدلالية (المعاني المقترنة وضعيا بكلمات ووحدات لغوية أخرى) يمكن أن تتكافأ مع التصورات. هذه المعاني الوضعية المقترنة بالكلمات هي تصورات لغوية أو تصورات معجمية (مفرداتية): أي الصورة الوضعية التي تتطلبها البنية التصورية من أجل أن تكون مشفرة في اللغة. ومع ذلك، فإن الزعم بأن البنية الدلالية يمكنها أن تتساوى مع البنية التصورية لا يعني أنهما متطابقتين. عوضا عن ذلك، يدعي اللسانيون المعرفيون أن المعاني المقترنة بالكلمات مثلا، تشكل فقط مجموعة فرعية من التصورات الممكنة. بمعنى أن الكثير من الأفكار، والتصورات، والأحاسيس التي نملك هي أكثر مما يمكننا تشفيره وضعيا في اللغة. مثال ذلك التصور الذي نملكه لموضع على وجوهنا تحت أنوفنا وأعلى فمنا أين تنمو الشوارب. إذ يجب أن يكون لدينا تصور لهذا الجزء من الوجه من أجل فهم أن الشعر النامي هناك يقال له شوارب. ومع ذلك ليس هناك كلمة في اللغة(12) تشفر وضعيا هذا التصور. يتبع هذا أن مجموعة من التصورات المعجمية ليست إلا مجموعة فرعية من مجموعة كاملة من التصورات الموجودة في ذهن المتكلم. هذا المبدأ حسب المؤلفين ذو أهمية كبيرة حتى نتمكن من ممارسة التفكير.

المثال اللغوي الذي يقترحه المؤلفان لتبيان ارتباط البنية الدلالية بالبنية التصورية يتمثل في بنية الجملة المبنية للمعلوم، والجملة المبنية للمجهول اللتين تعكسان الطريقة التي نتعامل بها مع الأشياء بالتقديم والتأخير في تجاربنا:

- كتب ويليام شكسبير [مسرحية] روميو وجولييت. (مبني للمعلوم)
- كُتبت [مسرحية] روميو وجولييت من قبل ويليام شكسبير. (مبني للمجهول)

ادعى اللسانيون المعرفيون أنه بسبب اقتران التركيب المبني للمعلوم والمبني المجهول وضعيا باختلاف وظيفي، أي وجهة النظر التي نتبناها ارتباطا بموضوع الجملة، أن بنيتي المبني للمعلوم والمبني المجهول ذوا دلالة بحد ذاتهما: أي أننا نركز في الجمل المبنية للمعلوم على المشارك المعلوم في الحدث بموضعة هذه الوحدة في مقدمة التركيب(13). بينما نركز في الجمل المبنية للمجهول، على المشارك الذي يخضع للفعل. وعليه فالمعاني الوضعية المقترنة بهذه البناءات النحوية هي خطاطية باعتراف الجميع، ولكنها برغم ذلك هي ذات دلالة(14).

▪ موسوعية تمثيل المعنى:

المبدأ الثالث المركزي للدلالة المعرفية يتمسك بالقول أن البنية الدلالية موسوعية بطبيعتها. هذا يعني أن الكلمات لا تمثل رزما مكدسة صرفة للمعنى (وجهة نظر القاموس)، ولكنها تشتغل "كنقاط وصول" إلى مخازن فسيحة من المعارف المرتبطة بتصور خاص أو مجال تصوري.

وفق هذه النظرة يثبت علماء الدلالة المعرفيون أن المعنى الوضعي المقترن بكلمة مفردة يعد "حاثا" فقط لعملية بناء المعنى: أي "اختيار" الترجمة المناسبة تبعا لسياق الملفوظ. كلمة "آمن" مثلا، لها طبقة من المعاني، والمعنى الذي نختاره ينبثق كنتيجة للسياق أين تبرز الكلمة. لتوضيح هذه النقطة، ننظر في الأمثلة الآتية في سياق لعب طفل على الشاطئ.

أ. الولد آمن

ب. الشاطئ آمن

ج. المجرفة آمنة

في هذا السياق، تأويل الجملة (أ) هو أن الولد لن يصيبه أي أذى. ومع ذلك، لا تعني الجملة (ب) أن الشاطئ لن يكون مؤذيا. بدلا من ذلك، تعني أن الشاطئ المحيط بالولد يكون خطره الذي يلحق بالولد في حده الأدنى. وبالمثل، لا تعني (ج) أن المجرفة لن تكون مؤذية، ولكن المعنى أنها لن تسبب أذى لهذا الولد (قد تكون نفس المجرفة مؤذية في سياق آخر). هذه الأمثلة توضح أن ليس هناك خاصية ثابتة واحدة بأن الأمان تحدده الكلمات: ولد، الشاطئ، المجرفة. من أجل فهم ما يعنيه المتكلم، نسحب من معارفنا الموسوعية المرتبطة بالأطفال، الشواطئ والمجرفات، ومعارفنا المرتبطة مع ما تعنيه أن تكون آمنا. نحن إذن "نترجم" المعنى "باختيار" المعنى الذي يناسب سياق التلفظ.

يمثل الشكل التالي خطاطة تمثيلية للتمييز بين الدلالتين القاموسية والموسوعية كما أوردها لانغاكر[15]:

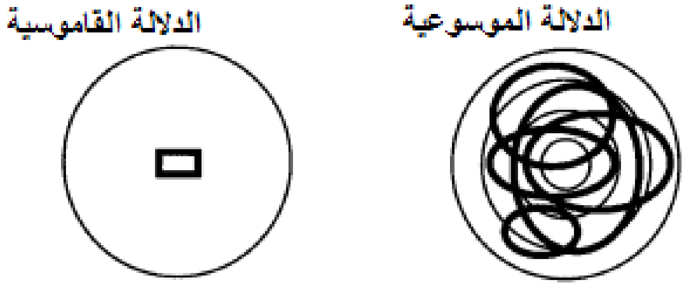

▪ **بناء المعنى هو بناء التصور:**

في هذا الجزء يكشف المؤلفان عملية بناء المعنى بأكثر تفصيل. من خلال المبدأ الرابع القائل بأن اللغة ذاتها لا تشفر المعنى. بل إن الكلمات (والوحدات اللغوية الأخرى) هي "حاثات" (prompts) فقط لبناء المعنى. وفقا لهذه الرؤية، يبنى المعنى في المستوى التصوري: بناء المعنى يعادل بناء التصور، أي تلك العملية الدينامية التي تشتغل فيها الوحدات اللغوية كحاثات لمجموعة من العمليات التصورية وتجنيد المعارف الخلفية. ينتج عن هذه الرؤية أن المعنى هو عبارة عن سيرورة بدلا من كونه "شيئا" منفصلا يمكنه أن "يرزم" بواسطة اللغة. بناء المعنى يسحب من

المعارف الموسوعية، كما رأينا سابقا، وينطوي على استراتيجيات استنتاج تتعلق بمظاهر مختلفة للبنية التصورية، تنظيمها ورزمها. وقد ارتبطت نمذجة النوعية الدينامية لبناء المعنى بأكثر توسع بجيل فوكونيي الذي شدد على دور الترابطات: الصلات المحلية بين فضاءات ذهنية متمايزة، أو "رزم" تصورية من المعلومات، التي تبنى خلال سيرورة "مباشرة" (online) لبناء المعنى... بمعنى أن هذه الأعمال التصورية تنجز على أساس ثانية بثانية في البناء النامي للمعنى في الخطاب، دون إدراك واع.

نشير في الأخير إلى ملاحظة إيفنس[16] بخصوص التفاصيل الدقيقة المرتبطة بالدلالة الموسوعية وعلاقتها بالبنية التصورية التي يمكن أن تختلف، بل يحدث أن تختلف فعلا، عبر نظريات لسانية معرفية مخصوصة، يمثل الباحث لذلك بمقارنة نظرته ونظرة لانغاكر للعلاقة بين البنيتين الدلالية والتصورية، فبينما يسوي لانغاكر بينهما يتمسك ايفنس بالقول أن البنية الدلالية والبنية التصورية تتألفان من صورتين تمثيليتين متمايزتين، بوجود بنية دلالية تسهل الوصول إلى (بعض مظاهر) البنية التصورية.

هذه باختصار أهم المبادئ والأطروحات الموجهة للمنظور الدلالي المعرفي، نعتقد أنها تفي بتوضيح مبسط لهذا المنظور وتمييزه بالقدر الذي يجعل من النظرية الدلالية المعرفية مقاربة متميزة للمعنى، ودفع الباحثين وتنبيههم إلى مزيد من البحث والدرس في هذا الحقل المعرفي المستجد.

الهوامش:

1 - أو "علم الدلالة المعرفي" أو "الدلاليات المعرفية" كمقابلين للأصل الإنكليزي نفسه (cognitive semantics).

2 - محمد غاليم: **بعض مهام اللسانيات في السياق المعرفي.** مقال منشور على الإنترنت:

- http://www.aljabriabed.net/n96_05ganem.htm

ويقترن من منظور اللسانيات المعرفية بالرمز اللغوي ويربط بتمثيل ذهني مفرد يصطلح عليه باسم التصور a concept. والتصورات تشتق من المدركات الحسية percepts . فأثناء التعامل مع حبة فاكهة (تفاحة مثلا)، يحدث أن تدرك الأجزاء المختلفة من الدماغ هيئتها، ولونها، وتركيبها، ومذاقها، ورائحتها وغير ذلك. هذه المجموعة المتعددة من المعلومات المدركة حسيا تشتق من العالم "الخارجي" وتدمج في صورة ذهنية واحدة a single mental image (وهو التمثيل المتيسر للوعي)، والتي تسمح بقيام تصور مفرد خاص بحبة الفاكهة. عندما نستخدم اللغة ونتلفظ بالصورة تفاحة، هذا الرمز يتوافق مع المعنى التواضعي، وعليه فإنه "يربط" بالتصور بدلا من الموضوع المادي الموجود في العالم الخارجي بصفة مباشرة.

3- cf. Ronald W. Langacker , **Cognitive Grammar,** P 27

4 - نذكر هنا بأن لانغاكر يركز على الطبيعة الدينامية للمعنى لذلك نجده يفرق بين التصورات والبناء التصوري، وفي نظره تتعين المعاني أثناء بناء التصورات. انظر:

5 - يرى كوفيتش أن "تجسد" المعنى قد يكون الفكرة المركزية للرؤية اللسانية المعرفية للاستعارة، وهو كذلك بالنسبة للرؤية اللسانية المعرفية للمعنى. انظر: zoltán kövecses :**Metaphor**, p 18

6- Vyvyan Evans: **A Glossary of Cognitive Linguistics**. Ibid. pp 26-27

7 - من ممثلي المقاربة المعرفية للنحو نجد رونالد لانغاكر الذي شدد على دراسة المبادئ المعرفية التي تستنهض التنظيم اللغوي. لقد حاول لانغاكر في نظريته للنحو المعرفي أن يرسم المبادئ التي تبنين النحو، وربطها بالمظاهر العامة للمعرفة. السبيل الثاني للبحث، اتبعه باحثون آخرون منهم فيلمور وكاي، لايكوف، غولدبارغ، وكروفت، طمح هؤلاء إلى توفير تفاصيل أكثر وصفية ومنهجية لوصف الوحدات اللغوية التي تشمل لغة خاصة، وحاولوا توفير جرد للوحدات اللغوية، من المورفيمات إلى الكلمات، والعبارات المسكوكة، والقوالب الجُملية، والتمسوا وصفا لبنياتها، إمكانياتها التأليفية، والعلاقات فيما بينها. وقد طور هؤلاء الباحثون مجموعة من النظريات التي عرفت إجمالا بوصفها أنحاء التركيب/البناء construction grammars . وقد أخذت هذه المقاربة العامة اسمها من رؤية في اللسانيات المعرفية ترى أن الوحدة الأساسية للغة هي الاقتران صورة-معنى المعروفة كبناء.

8- Vyvyan Evans and Melanie Green, **Cognitive linguistics** ,an introduction, p153

9- Vyvyan Evans: **Language and Cognition**: The View from Cognitive Linguistics. p3

كما يمكن الاطلاع أيضا على الالتزامات الأساسية للسانيات المعرفية في المقال التالي:

- Vyvyan Evans, Benjamin K. Bergen and Jörg Zinken: **The cognitive linguistics enterprise**: an overview, from http://www.vyvevans.net/CL/overview.pdf , p3

10- Vyvyan Evans and Melanie Green, **Cognitive linguistics** ,an introduction, pp157-162

11- من الاستخدامات المتعددة لتصور "الخروج" عن الوعاء أو الحاوية نذكر الأمثلة التالية: إنه **خارج** السيطرة، أنت تتحدث **خارج** الموضوع، **خرج** عن النظام، **خرج** عن صمته وعزلته...

12 - يرتبط المثال الذي أخذه المؤلفان عن لانغاكر باللغة الانكليزية، ولعل الأمر نفسه ينطبق على اللغة العربية في عدم وجود مقابل لغوي لهذا التصور. رغم أن الأمر يستدعي بحثا مستقصيا-على الأقل في معاجم اللغة الفصيحة- لتأكيد ذلك أو تفنيده، لكن ما يهمنا هنا هو فكرة عدم مطابقة التصورات لما يشفرها في اللغة بالتواضع.

13 -يرتبط هذا بالاستعارة التصورية "القرب قوة في التأثير" وهي استعارة تبنين نسقنا التصوري وتنطبق بصورة مباشرة على تشكلينا للغة تقديما وتأخيرا، مجاورة ومباعدة.. راجع: جورج لايكوف ومارك جونسون: **الاستعارات التي نحيا بها**، ص 137-139 .

14-ينبه المؤلفان هنا ارتباطا بالمبدأ القائل بأن البنية الدلالية تمثل جزءا فرعيا من البنية التصورية على أمرين هامين: أولا، من المهم أن نحدد أن علماء الدلالة المعرفيين لا يزعمون أن اللغة تتعلق بتصورات داخلية في ذهن المتكلم وليس أي شيء أقل من ذلك. سيقود هذا إلى صورة مفرطة لنزعة ذاتية، حيث تعد التصورات منفصلة عن العالم الذي ترتبط به. الصحيح أنه لدينا تصورات في المقام الأول بسبب إما لكونها طرقا عادية لفهم العالم الخارجي، وبسبب كونها طرقا مفروضة علينا لفهم العالم، من خلال أسلوب بنائنا المعرفي وهيئتنا الفيزيولوجية. تأخذ الدلالة المعرفية بالتالي مسارا بين الإفراط المتعارض للنزعة الذاتية والنزعة الموضوعية (دلالة شروط الصدق التقليدية) بالادعاء أن التصورات تتعلق بالتجربة المعاشة. المثال الذي يقترحه المؤلفان هنا يرتبط بالتصور "أعزب" الذي نوقش كثيرا في الأدبيات المعرفية. هذا التصور، المحدد تقليديا ك "ذكر بالغ غير متزوج"، ليس منعزلا عن التجربة المألوفة لأننا لا نستطيع في الحقيقة تطبيقه على جميع الذكور الراشدين غير المتزوجين. إننا نفهم أن بعض الذكور الراشدين هم غير مؤهلين للزواج لسبب ما إما نتيجة لوظيفة أو لكفاءة جنسية أو ارتباطا بفئة اجتماعية معينة (البابوات، والمثليين). أما التنبيه الثاني فيرتبط بكون التحديدات التامة المفترضة لمعنى كلمة مثل "الذكر الراشد غير المتزوج" للأعزب تخفق في انتزاع طبقة وتنوع المعنى المقترن مع أي تصور معجمي معطى على نحو تام. لهذا السبب رفض أصحاب الدلالة المعرفية الرؤية القاموسية أو التحديدية لمعنى الكلمة واستعاضوا عنها برؤية موسوعية.

15-cf. Ronald W. Langacker , **Cognitive Grammar,** P 39.

(16) Vyvyan Evans**, Language and Cognition**: The View from Cognitive Linguistics, p 5.